

اليسار الإسلامي منفذ الإسلام السياسي لتلميع صورته

الأجنحة اليسارية العربية تهول للتقارب مع جماعة الإخوان مجددا

المزج بين الصيغ اللفظية مراوغة في الخطابات القومية والعربية والإسلامية، وتحرص جماعة الإخوان على الاستفادة من الدعاية التي يروج لها نشطاء اليسار في الداخل العربي وأوروبا وأميركا، لتبرئة الإسلاميين من الإرهاب والعنف وتقديمهم في صورة ضحايا لاستبداد الدولة.

في العام 2011، بل امتد مع مناسبات تالية متزامنة مع كل ذكرى للثورة، حيث استجاب نشطاء يساريون لدعوات الإخوان للتظاهر حتى بعد ثبوت انتهاج الجماعة للعنف المسلح.

تشوش الرؤية والخط المنهجي المبني على أطروحات مفكرين غربيين منتسبين إلى اليسار الراديكالي، والانحياز للحركات المتطرفة الإسلامية باعتبارها المعبر الحقيقي عن المسلمين وعن الشعوب العربية الملهمة، نتج عنه ظاهرة لا تزال تعاني منها البلاد العربية انعكست مؤخرا على دول أوروبا، عندما تأثر بتلك الموقلات العشوائية الآلاف من الشباب النشط بتيار اليسار الراديكالي الغربي، وقادته للانضمام لتنظيمات تكفيرية إسلامية كداعش بالعراق وسوريا وغيرها.

أين ولماذا؟

يعكس مصطلح اليسار الإسلامي التعاون القائم بين أجنحة من اليسار الراديكالي وجماعات الإسلام السياسي، وهو مطروح أكاديميا منذ ما يقرب من عشرين عاما عبر الفيلسوف والمؤرخ بيير أندريه تاجيف، الذي رصد تحالفات عسكرية وسياسية بين اليساريين وجماعات الإسلام السياسي، على اختلاف انتماءاتها، بدءا بالإخوان مرورا بسلفيين وانتهاء بالجهاديين. وضح التجلي الأبرز حديثا بالحالة العربية في التحالف الذي دشنته الناشط اليساري الفلسطيني عزمي بشارة مع جماعة الإخوان، ومجمل فصائل الإسلام السياسي، مازجا عبر صيغ لفظية مراوغة بين خطابات وأطروحات قومية عربية وإسلامية.

الأسس الفكرية التي انطلق منها بشارة والتي جعلته يصوغ تلك الأطروحة الجامعة بين المتناقضات، مروجا لدولة بيئية ومدنية ومشروع الإخوان في السلطة وللقيم الديمقراطية والحريات بنفس الوقت، مستوحاة جميعها من أدبيات مفكري اليسار الراديكالي الغربي، ما جعله يحتل مقعدا متقدما لدى دوائر هذا التيار في الغرب، مدافعا بمقولات رموزه عن أحقية الإسلام السياسي في تمثيل الشعوب العربية، ومجادلا بالمصطلحات والأفكار اليسارية الثورية عن نضال إسلامي ثوري مزعوم في مواجهة الثورات المضادة المدبرة من قبل أجهزة الدولة العميقة.

تدترت جماعة الإخوان بعد هذا الطرح بتلك المصطلحات، وصار الخروج والتمرد الجهادي المسلح مرادفا للثورة، ورفض الشارع لحكم الجماعة ودفاع أجهزة الدولة عن نفسها وحماية الجيش للشعب الناصر ضد الإسلاميين مرادفا للثورة المضادة.

منح هذا الاقتتان بين التيارين مزايا متبادلة، وسعت أجنحة يسارية لتعويض العزلة التي يعاني منها مجمل هذا التيار بعد أفول نجمه في أوائل تسعينيات القرن العشرين عبر الاستفادة من الانتشار الجماهيري الواسع لتيار الإسلام السياسي.

هشام النجار
كاتب مصري

لم يكن الجدل الذي صنعتة تصريحات وزير التعليم العالي بفرنسا فريدريك فيدال بشأن ما وصفته باليسارية الإسلامية مؤخرا، قاصرا على الدوائر الغربية، بل تصاعدت تداعياته على الساحة العربية.

وكانت فيدال قد حذرت من اختراق هذا التوجه للجامعات وإضراره بالمجتمع، مطالبة بمراقبته وتكثيف الدراسات حوله، لكن ذلك لن يكون معزولا عما يجري في الواقع العربي من اختراقات أكثر حدة واتساعا.

واتخذ مصطلح اليسارية الإسلامية، أو اليسار الإسلامي، الذي استخدمه الفرنسيون لوصف اليساريين المتحالفين والمتعاطفين مع الإسلاميين المتطرفين والمتغاضين عن مخاطر النزعات الانفصالية، منحى متطورا طوال العقد الأخير في الحالة العربية، متجاوزا حيز الأطروحات الفكرية والتصورات الأكاديمية لبعض المفكرين إلى عقد تحالفات بالمكاتب المغلقة وميادين التظاهر للمتنتهين إلى تيار اليسار الراديكالي وجماعات الإسلام السياسي.

دخول أجنحة من اليسار العربي في فلك الإسلام السياسي، دفع الإخوان إلى محاولة تلميع صورتهم في الانتفاضات العربية

يُعد تأثير هذا التلاقي بين التيارين بالدول الأوروبية أقل مقارنة بتأثيراته في الواقع العربي، على الرغم من الدور الذي لعبه في الترويج له بعض المفكرين والمنظرين الغربيين، لذلك قولت تحذيرات فيدال وقبلها وزير التعليم جان ميشال لانكيت، حينما استخدم المصطلح نفسه محذرا من "الإسلام السياسي" برود أفعال أيدت استغرابها من تلك المصطلحات الجديدة الدالة على تفاهات غير مالوفة بين تيارات متناقضة في الحالة العربية.

المسكوت عنه

إثارة الملف المسكوت عنه في الغرب، خاصة في ما يتعلق بجماعات الضواحي التي يتحكم بها اليسار الفرنسي، وجرت فيها بلورة صيغة تحالف بين اليساريين المتطرفين والتشطاء المقيمين من جماعة الإخوان وغيرها من التنظيمات الإسلامية المتشددة، أتت بعد جريمة ذبح المعلم الفرنسي صمويل باتي، عقب إشارات لوزير التعليم بوجود اليسار الإسلامي في المدرسة التي كان يعمل بها المعلم المغدور.

بينما تأثيرات وانعكاسات صيغة التقارب تلك ممتدة وقديمة بالحالة العربية، فضلا عن إسهامها في أحداث كبرى وتحولات خطيرة شهدت المنطقة العربية، بحجم انتفاضات وثورات الربيع العربي، بالنظر للدور الملحوظ الذي لعبه سياسيون ومفكرون غربيون ينتمون إلى اليسار الراديكالي، واكتظاظ إدارة الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما بهم، والتي كان لها الإسهام الأكبر في دعم أصحاب التوجهات اليسارية الراديكالية بشخصيات ومؤسسات معروفة علاقتها بجماعة الإخوان المسلمين.

ومنح دخول أجنحة من اليسار العربي في فلك الإسلام السياسي بدفع من نظريين غربيين وعرب، جماعة الإخوان الإمكانية في تلميع اسمها بمشهد الانتفاضات العربية، تحت عناوين وشعارات اجتماعية وسياسية لم تستخدمها طيلة مسيرتها، وهو السياق الذي لم يقتصر على الموجة الأولى نتيجة حالة الوهم اللحظي الجماعي



مع الإسلاميين أحيانا وضد الدولة دائما



الصراع الخلاق

والابتزاز وتحقيق المكاسب السياسية. ما يحول دون تحقق خطط الإسلاميين واليساريين ويقلل من جدوى تلك النشاطات تراجع سمعة التيارين اليساري والإسلامي في الداخل العربي، نتيجة تركيزهما على المظاهرات والحشد الجماهيري دون العمل السياسي والحزبي، علاوة على العنف الذي تورت في ممارسته جماعة الإخوان، ما أدى إلى فقدانها حاضنتها الشعبية، مكررة سيناريو انحسار المد اليساري في أوائل التسعينيات.

ما هو اليسار الإسلامي

مصطلح يستخدمه اليمين الفرنسي المتطرف لانتقاد خصومهم اليساريين راج استخدام بعد استخدام ماكرون لجملة الانفصالية الإسلامية

بعد وصول تأثير علاقات اليسار الراديكالي بقوى التطرف والتكفير الإسلامي إلى قلب أوروبا، وهو ما استدعى البدء في دراسة أبعادها وأصولها وتعقب كوادرها ورموزها وفق ما صرحت به وزيرة التعليم العالي بفرنسا، باتت نشاطات المنظرين والمفكرين الغربيين تحت المراقبة ما يعني إمكانية تأثر استغلال الإسلام السياسي للمنظمات والمؤسسات الغربية اليسارية. شُرع الحركات الغربية في تفكيك التحالفات والتشبيكات الفكرية بين اليسار الراديكالي الغربي وتيار الإسلام السياسي من شأنه كشف أزمة قادة اليسار الغربي، الذين حرصوا طوال السنوات الماضية على تطبيق تصوراتهم الخاصة بالدفع إلى إسقاط الأنظمة وإزاحتها وجعل الحكومات بلا سيادة داخل المنطقة العربية بجهود الجماعات المتطرفة، بعد ارتداد أثر تلك التظلمات والمناهج إلى العمق الأوروبي.

والسنتين من القرن الماضي، حسب التوصيف الغربي والأميري للحركات الشيوعية حينئذ، وهو ما خلق توظيفا متبادلا وضحت آثاره بقوة في الواقع العربي خلال العقد الأخير، ولم تظهر ملامحه في الساحة الأوروبية إلا مؤخرا عقب سقوط مشروع الإخوان في مصر وانهيار خلافة داعش في سوريا والعراق.

التأثيرات العربية

لم تقتصر تأثيرات ما عُرف باليسارية الإسلامية التي احتضنها تيار اليسار الراديكالي الغربي على قناعات عدد من نشطاء ومفكري اليسار العرب، سواء من انضم منهم للإسلام السياسي حافظا على استمراريته في المشهد كمفكر إسلامي أو قائد سياسي، أو من ساق منهم المبررات لعنف الجماعات الجهادية واصفا قاداتها بالمناضلين داخل إطار من المصالح المتبادلة.

انتقلت العلاقة إلى مستوى التنسيق السياسي، كما وضح في مشاركة كيانات يسارية مصرية لجماعة الإخوان في فعاليات التظاهر وقت جرى تصنيف الجماعة كتتنظيم إرهابي في مصر وعدد من الدول العربية.

جزء من اليسار في المغرب، خاض تجربة التحالف مع فصائل إسلامية، كتتحالف العدالة والتنمية ذي التوجه الإسلامي، والتقدم والإشتراكية ذي التوجه اليساري، وتحالف يساريون مغاربة مع جماعة العدل والإحسان تحت عنوان حركة 20 فبراير، قبل أن تنسحب الأخيرة منها، ضمن محاولات لنقل تجارب تقارب جماعة الإخوان في مصر مع اليسار الراديكالي وحركة النهضة في تونس من الجبهة الشعبية اليسارية.

فشلت جُل هذه التحالفات نتيجة انتهازيية الإسلاميين الذين يعملون وفق خطة موحدة، مؤداهها توظيف التيار اليساري كتكتيك ومحاصرته إستراتيجيا بغرض الخروج بأقصى استفادة من جهوده، ريثما يقضون عليه وعلى مشروع جماعة الإخوان على أيديهم بالسلطة.

الانهيار في البداية بشعارات إسقاط النظام قادت كيانات يسارية عراقية لا تملك نفس قوة الإسلاميين في الشارع، إلى الوقوع ضحية انتهازيية الإسلام السياسي، وظلت تبحث لها عن قدم في العملية السياسية دون جدوى. جميع التجارب، في مصر وتونس والمغرب والعراق، وقعت تحت تأثيرات أطروحات اليسار الغربي الداعية للتحالف والتقارب بين اليسار والإسلاميين، الذين تجمعهم كراهية السلطة خاصة الحكومات الملكية وكذلك حلم الوصول للحكم، وجميعها لم تأخذ العبرة من التجربة القاسية لحزب توده

الإسلاميون الذين أخفوا تأثيرهم بالفكر الشيوعي واستثمار مقولاته، خاصة بعد الفشل الذي لازمهم مع تقويعهم على أصوليتهم المغرقة في استنساخ النموذج الإسلامي القديم، نجحوا في احتلال مكانة اليساريين الجماهيرية عبر السيطرة على عقل وقلب البسطاء والمهمشين بعد أسلمة المقولات اليسارية وامتلاك المقدرة المادية على توفير خدمات صحية وتعليمية، فشلت في توفيرها الحكومات خلال تلك المرحلة.

في حين كانت الأحزاب اليسارية لا تقوى على تنظيم مظاهرات، كان المنظرون الإسلاميون يزعمون أنهم بديل للشيوعية بنسخة إسلامية لنصرة الفقراء والمستضعفين، وظن بعض اليساريين أن التقرب من القوى الإسلامية التي باتت تمتلك شبكة هائلة من المدارس والهيئات، سيعيد لهم قوتهم بالشارع من خلال جمهورهم وسط الطبقات الدنيا في المجتمع.

حظي الإسلاميون عبر تلك التفاهات بمفكرين ومنظرين غربيين داخل تيار اليسار الراديكالي ينفون عنهم طبعهم الفاشية الرجعية، ويروجون لهم لدى الحكومات والمؤسسات الغربية باعتباره البديل القادم بحركات تقدمية مناهضة للظلم الاجتماعي، ما عوض جماعة الإخوان عن عدم مقدرتها على التسويق لنفسها باستخدام شعارات الليبرالية والديمقراطية.

وجد قطاع من الناشطين والمفكرين داخل اليسار الراديكالي الغربي في الجماعات الإسلامية أداة تحقق ما لم تحققه حركات اليسار والعنف والسياسة، وحل الإرهاب الإسلامي الأخضر محل الإرهاب الأحمر الذي شاع خلال عقدي الخمسينات

